اليهود المغاربة والمواطنة النشطة:
"شمعون ليفي نموذجا"

زكرياء حماني
طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر التاريخ والتراث، قسم علم الاجتماع
جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية القنيطرة
تحت إشراف الدكتور: عبد الإله الزاوي الرحالي
المغرب

ملخص الورقة البحثية

تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة إشكالية المواطنة النشطة في السياق المغربي اليهودي، مع التركيز على الدور البارز الذي لعبه شمعون ليفي في بلورة هذا المفهوم. تعتمد الدراسة على تحليل تاريخي واجتماعي وثقافي، مستندةً إلى مصادر أولية وثانوية، بما في ذلك كتابات ليفي والمصادر الأرشيفية المرتبطة بتاريخ الجالية اليهودية في المغرب. تم تقسيم الورقة إلى ثلاثة محاور رئيسية: المحور الأول يناقش الإطار التاريخي للوجود اليهودي كما تطور في المغرب، والمحور الثاني يحلل المواطنة النشطة في السياق المغربي، والمحور الثالث يركز على شمعون ليفي كنموذج لتعزيز المواطنة النشطة وآفاق هذا المفهوم في السياق المغربي المعاصر.

من خلال هذه الدراسة، يتضح أن الجالية اليهودية في المغرب كانت جزءاً أساسياً من النسيج الاجتماعي المغربي، وأسهمت في تطوير الهوية الوطنية عبر العصور. كما يُظهر البحث أن شمعون ليفي لعب دوراً مهماً في توجيه النقاش حول المواطنة النشطة والتعددية الثقافية، حيث كان من أبرز المدافعين عن حقوق الإنسان والتعايش السلمي بين مختلف مكونات المجتمع المغربي. تحلل الورقة أيضاً التحديات التي واجهتها الجالية اليهودية، بما في ذلك الهجرة والتمييز، وتستعرض كيفية استمرارية تأثيرهم في المجتمع حتى بعد انخفاض أعدادهم.

تستخلص الدراسة أن المواطنة النشطة ليست مقتصرة على الأغلبية، بل يمكن للأقليات أن تلعب دوراً محورياً في تشكيل المجتمعات الديمقراطية. وتختتم بتقديم توصيات لتعزيز هذا المفهوم في المستقبل، مع التأكيد على أهمية الحفاظ على التعددية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: المواطنة النشطة، الجالية اليهودية المغربية، شمعون ليفي، التعددية الثقافية، الهوية الوطنية، المغرب، حقوق الإنسان، التعايش.

Abstract

This research paper aims to study the issue of active citizenship in the Moroccan Jewish context, focusing on the prominent role played by Shimon Levy in shaping this concept. The study employs a historical, social, and cultural analysis, drawing upon primary and secondary sources, including Levy's writings and archival materials related to the history of the Jewish community in Morocco. The paper is divided into three main axes: the first axis discusses the historical framework of the Jewish presence as it developed in Morocco, the second axis analyzes active citizenship in the Moroccan context, and the third axis focuses on Shimon Levy as a model for promoting active citizenship and its prospects in the contemporary Moroccan context.

Through this study, it becomes clear that the Jewish community in Morocco was an essential part of the Moroccan social fabric and contributed to the development of national identity throughout the ages. The research also shows that Shimon Levy played an important role in guiding the debate on active citizenship and multiculturalism, as he was one of the most prominent defenders of human rights and peaceful coexistence among the various components of Moroccan society. The paper also analyzes the challenges faced by the Jewish community, including immigration and discrimination, and explores how their influence in society continued even after their numbers declined.

The study concludes that active citizenship is not limited to the majority, as minorities can play a pivotal role in shaping democratic societies. It concludes by offering recommendations for strengthening this concept in the future, while emphasizing the importance of preserving multiculturalism.

Keywords: Active citizenship, Moroccan Jewish community, Shimon Levy, multiculturalism, national identity, Morocco, human rights, coexistence.

المقدمة

يُعد مفهوم المواطنة النشطة من المفاهيم الأساسية التي تحتل موقعاً مهماً في الخطاب الاجتماعي والسياسي في العالم الحديث. يشير هذا المفهوم إلى الانخراط الفعال للفرد في المجتمع، سواء من خلال المشاركة السياسية أو العمل الاجتماعي أو الدفاع عن حقوق الإنسان. في السياق المغربي، ارتبطت المواطنة النشطة بتفاعل مختلف الفئات المجتمعية مع قضايا الوطن، حيث لعبت كل مجموعة دوراً في تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز الانتماء. ومن بين هذه الفئات، الجالية اليهودية المغربية التي تُعد جزءاً أصيلاً من النسيج الثقافي والاجتماعي المغربي.

تتمحور هذه الدراسة حول إشكالية المواطنة النشطة في السياق المغربي اليهودي، حيث نسعى إلى استكشاف كيفية مساهمة اليهود المغاربة في بلورة هذا المفهوم داخل المجتمع المغربي. سيتناول البحث بشكل خاص الدور البارز الذي لعبه المفكر والناشط "شمعون ليفي" في تعزيز قيم المواطنة النشطة، سواء من خلال نشاطه السياسي أو إسهاماته الثقافية التي أثرت الساحة الفكرية. من هنا، أحالتنا الدراسة إلى الإشكال التالي:

إلى أي مدى يمكن اعتبار شمعون ليفي رمزاً للمواطنة النشطة لدى اليهود المغاربة؟

هذه الإشكالية تتفرع منها التساؤلات الجزئية التالية:

يبرز شمعون ليفي كشخصية محورية في تاريخ المغرب المعاصر، حيث كان من المدافعين عن المساواة والعدالة، وسعى من خلال أعماله إلى تجاوز الفروقات الدينية والثقافية لصالح بناء مجتمع قائم على التعددية والتعايش. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جهوده وتحليل تأثيره في بلورة مفهوم المواطنة النشطة في السياق المغربي اليهودي، من خلال استعراض أبرز أعماله وأفكاره.

إن أهمية هذا البحث تنبع من كونه يسهم في إثراء الدراسات حول المواطنة في المغرب، ويوضح كيف أن الأقلية اليهودية المغربية كانت جزءاً فاعلاً في تعزيز الهوية الوطنية المغربية. كما يهدف إلى تقديم فهم أعمق لدور الجالية اليهودية في المجتمع المغربي، مع التركيز على الأبعاد الاجتماعية والسياسية للمواطنة التي أفضت بالدراسة إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية تحددت فيما يلي:

- ما هي الأبعاد التي تجعل من شمعون ليفي نموذجاً فريداً للمواطنة النشطة في السياق المغربي؟ وكيف ساهمت أفكاره وأعماله في صياغة نموذج فعال للمواطنة النشطة؟
- ما هو تأثير فكر شمعون ليفي على الجيل الجديد من اليهود المغاربة فيما يتعلق بالمواطنة والمشاركة السياسية؟
- كيف تم نقل أفكار شمعون ليفي إلى الجيل الجديد؟
- ما هو الدور الذي لعبته كتابات شمعون ليفي في النقاشات حول المواطنة في المغرب؟
- كيف ساهمت أعماله الأدبية والفكرية في فتح حوار حول المفاهيم الأساسية للمواطنة والمساواة في المغرب؟ وما هو تأثير هذه النقاشات على المجتمع المغربي؟ للإجابة على هذه التساؤلات، سيتم تحليل المصادر التاريخية والثقافية التي توضح العلاقة بين الجالية اليهودية والمواطنة في المغرب، مع التركيز على مساهمة ليفي كفاعل مركزي في هذا السياق.

المنهجية

لبناء هذه الورقة، سيتم اعتماد منهجية تحليلية تاريخية قائمة على استعراض المصادر الأرشيفية والمراجع الأكاديمية ذات الصلة، بهدف توضيح كيفية مساهمة اليهود المغاربة في تشكيل مفهوم المواطنة النشطة، مع التركيز على دور شمعون ليفي كأحد الفاعلين البارزين في هذا المجال. المنهجية المستخدمة ستتضمن أربعة عناصر أساسية: نوع البحث، أدوات البحث، مصادر البيانات، وطرق تحليل البيانات.

أ. نوع البحث

البحث الحالي هو بحث تاريخي وتحليلي، يسعى إلى تحليل النصوص والوثائق التاريخية والثقافية المتعلقة بمشاركة اليهود المغاربة في الحياة العامة، وخاصة دور شمعون ليفي في تطوير مفهوم المواطنة النشطة. الهدف من هذا البحث هو استكشاف الدور التاريخي لليهود المغاربة في بلورة هذا المفهوم وتقديم تفسير علمي وتحليلي لكيفية تفاعلهم مع المجتمع المغربي لتحقيق قيم المواطنة.

هيكلة البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية شملت تطور المواطنة النشطة في السياق اليهودي المغربي مع التركيز على شمعون ليفي كنموذج.

ب. أدوات البحث

تعتمد الدراسة على مجموعة متنوعة من أدوات البحث لجمع وتحليل البيانات، بما في ذلك:

1. **تحليل الوثائق الأرشيفية** :ستتم دراسة وثائق تاريخية وأرشيفية من مصادر مختلفة، مثل الخطابات الرسمية، والمقالات الصحفية، والأعمال الأكاديمية التي كتبها شمعون ليفي أو تلك التي تناولته. هذه الوثائق ستوفر أساساً لتحليل دور ليفي في نشر مفهوم المواطنة النشطة.
2. **تحليل النصوص** :سيتم تحليل النصوص الأكاديمية والدراسات التي تناولت مفهوم المواطنة النشطة في المغرب وعند اليهود المغاربة، لفهم الخلفية التاريخية والتأطير النظري لهذه المفاهيم.
3. **مراجعة الأدبيات** :ستتم مراجعة الأدبيات السابقة المتعلقة بالمواطنة النشطة والهوية اليهودية المغربية لتحديد المفاهيم الرئيسية وتحديد الثغرات البحثية.

ج. مصادر البيانات

مصادر البيانات في هذا البحث ستكون "نوعية" بالدرجة الأولى، وستعتمد على المصادر الأولية والمصادر الثانوية كما يلي:

1. **المصادر الأولية** :

- **كتابات شمعون ليفي** :سيتم استخدام أعمال شمعون ليفي، بما في ذلك مقالاته وخطاباته، كمصدر رئيسي لفهم رؤيته لمفهوم المواطنة النشطة ودوره في تطويرها. تشمل هذه الأعمال كتاباته حول الهوية اليهودية المغربية، وحقوق الإنسان، والمواطنة.
- **الأرشيفات التاريخية** :ستتم مراجعة الأرشيفات المتاحة المتعلقة بتاريخ الجالية اليهودية في المغرب ومشاركتها في الحياة العامة والسياسية.

2. **المصادر الثانوية :**

- **الدراسات الأكاديمية** :سيتم استعراض الدراسات الأكاديمية التي تناولت دور اليهود المغاربة في التاريخ والمجتمع المغربي، إضافة إلى الأبحاث التي تطرقت إلى مفهوم المواطنة النشطة في السياق المغربي. هذه الدراسات ستساعد في توفير الإطار النظري والمفاهيمي للبحث.
- **الأدبيات السابقة حول شمعون ليفي** :سيتم استعراض وتحليل الأدبيات التي تناولت دور شمعون ليفي في الحياة العامة المغربية، خاصة ما يتعلق بتأسيسه لمتحف التراث اليهودي المغربي ونشاطاته السياسية والثقافية.

د. طرق تحليل البيانات

ستعتمد الدراسة على التحليل النوعي للبيانات المجمعة من المصادر الأولية والثانوية. سيُستخدم التحليل التاريخي لفهم السياق الذي ساهم في تطوير مفهوم المواطنة النشطة داخل الجالية اليهودية المغربية، مع التركيز على الأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت على تفاعل اليهود المغاربة مع المجتمع المغربي.

1. **التحليل التاريخي** :سيتضمن تحليل الأبعاد التاريخية للمواطنة النشطة من خلال دراسة الدور الذي لعبه اليهود في المجتمع المغربي خلال فترات معينة، مثل فترة الاستعمار الفرنسي والحركة الوطنية للاستقلال. سيتم استخدام الأدبيات التاريخية لفهم كيفية تطور هذا الدور عبر الزمن.
2. **التحليل النصي** :سيتم تحليل النصوص المكتوبة من قبل شمعون ليفي وغيره من المفكرين اليهود المغاربة، لفهم كيف ساهمت هذه النصوص في تطوير فكرة المواطنة النشطة. سيتم التركيز على كيفية تفسير ليفي للمواطنة في السياق المغربي، ورؤيته للتعايش والتعددية الثقافية.
3. **التحليل المفاهيمي** :سيتم استكشاف المفاهيم الرئيسية المتعلقة بالمواطنة النشطة، مثل التعددية الثقافية، والهوية الوطنية، والمشاركة السياسية. سيتم الربط بين هذه المفاهيم ودورها في تشكيل الهوية الوطنية المغربية كما تصورها اليهود المغاربة وشمعون ليفي.

المحور الأول: الإطار التاريخي والاجتماعي لليهود المغاربة.

1) بداية الوجود اليهودي بالمغرب

لقد عرفت منطقة المغرب الأقصى بكونها جاذبة للمهاجرين من الشعوب اليهودية المختلفة، وحافظة على تراث حضارات متجذرة. أرجح المؤرخون أن مرحلة الوجود اليهودي بالمغرب يمكن تأريخها إلى فترة ما قبل الفتوحات الإسلامية. على الرغم من ذلك، ما يزال هناك خلاف حول التحديد الدقيق لهذا الحدث التاريخي، نظراً لعدم وجود أدلة مادية (كنصوص أو قطع أثرية). ومع ذلك، توجد بعض الروايات التي يعود تاريخها إلى المرحلة المبكرة من الاستقرار منذ حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، أثناء حقبة النبي سليمان عليه السلام، فيما تنادي هذه الروايات بأن هؤلاء اليهود يُعدّون جزءاً من القبائل العشر التي لا نعرف عنها. في المقابل، تشير الروايات الأخرى إلى أن حدوث تدفق للمهاجرين نحو المغرب كان إبان القرن السادس قبل الميلاد. ومع ذلك، تثير صحة هذه الادعاءات شكوكاً ويصعب التأكيد عليها (Kenbib, 1994, p. 14).

من المحتمل جداً أن تكون بداية الوجود اليهودي خلال العهدين اليوناني والروماني. فوفقاً للكاتب اليهودي المغربي **حاييم الزعفراني**، تشير البيانات والنقوش المستقاة من المصادر المكتوبة أو الأثرية، إلى جانب روايات المؤرخين، إلى وجود طوائف يهودية كانت قد استقرت سابقاً في

مدينة وليلى خلال فترة العهد الروماني. ومما يثبت وجود هذه الأدلة العثور على شمعدان برونزي مزين بسبعة عروش، واكتشاف شاهد قبر منقوش بالخط العبري (الزعفراني, 1987, p. 9).

2) مراحل استقرار اليهود المغاربة في فترة الفتح الإسلامي وحكم المغرب

مع الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع الميلادي، شهد وضع اليهود تغيراً جذرياً. فقد أصبحوا "أهل ذمة"[1] تحت الحكم الإسلامي، وهو وضع منحهم حماية معينة مقابل دفع الجزية. هذا النظام، كما يشرح **مارك كوهين**، كان له تأثير عميق على العلاقات بين اليهود والمسلمين في المغرب على مدى القرون اللاحقة (Cohen, 1994, pp. 52-54). في هذا السياق، كان لليهود حقوق محددة وفقاً للشريعة الإسلامية، مما ضمن لهم الأمان والممارسة الدينية مقابل التزامهم بقوانين الدولة ودفع الجزية.

- **فترة الأدارسة**

تحت حكم الأدارسة (788-974م)، شهد المغرب تحولاً كبيراً في التركيبة السكانية والدينية نتيجة لموجات الهجرة اليهودية من الأندلس. هذه الهجرة، كما يوضح **محمد عساراف**، كانت نتيجة للطرد والاضطهاد الذي تعرض له اليهود في الأندلس بعد سقوطها بيد المسيحيين. استقر العديد من هؤلاء المهاجرين في مدن مثل فاس، حيث أسسوا مجتمعات يهودية نشطة (Assaraf, 2005, pp. 31-33). هذه المجتمعات لم تكن فقط ملاذاً لليهود، بل كانت أيضاً مركزاً ثقافياً واقتصادياً مهماً، حيث ساهم اليهود في تعزيز التجارة والصناعات اليدوية، مما جعلهم جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمغرب. وكما أكد الكاتب و المثقف **شمعون ليفي**، أن اليهود والمغاربة سادتهم قيم التسامح الديني، وأن نظام قانون الذمة الذي كان مفروضاً على اليهود المغاربة كان يخول لهم الحماية والأمان بعيداً عن كل أشكال التمييز. على النقيض من ذلك، تبين الأوضاع التي واجهها اليهود خلال إقامتهم بأوروبا من الاضطهاد والتهميش. كان المغرب بلداً متفرداً يسمح لليهود بممارسة شعائرهم الدينية وإدارة شؤونهم الخاصة، بكل حرية (Lévy, 2001, p. 13).

- **فترة الموحدين**

في عهد الموحدين، كانت السياسة الدينية السائدة هي التحول الإجباري إلى الإسلام. رغم القيود التي فرضها الموحدون والتي تتماشى مع الدين الإسلامي، استطاع المجتمع اليهودي الحفاظ على ديانته وتقاليده. يشير **شمعون ليفي** إلى أن اليهودية نجت من هذه الفترة الصعبة، مما يعكس قدرة المجتمع اليهودي على التكيف والبقاء في مواجهة التحديات القاسية (Lévy, 2001, p. 12). ويوضح **نورمان ستيلمان** أن اليهود في العالم العربي، بما في ذلك المغرب، كانوا يواجهون ضغوطاً مماثلة خلال الفترات الزمنية المختلفة، مما يعزز فكرة انسجام اليهود والتماشي مع البلدان التي كانوا يستقرون بها (Stillman, 1979, p. 112).

- **الفترة المرينية**

خلال فترة حكم المرينيين، تمت إعادة توطين اليهود في مدينة فاس في منطقة جديدة تُعرف بـ "الملاح". هذا الإجراء يعكس تحولاً في السياسة نحو توفير بيئة مستقرة نسبياً لليهود. إضافة إلى ذلك، استقبل المرينيون والوطاسيون الموجات الأخيرة من الهجرة اليهودية من شبه الجزيرة الإيبيرية، وخاصة بعد أحداث عام 1391م عندما فر اليهود من منطقة إشبيلية الإسبانية بسبب حملات التحويل الديني القسري Lévy,2001, (p.12). يعزز **جيربر** هذه الفكرة بالإشارة إلى أن اليهود في مدينة فاس خلال فترة المرينيين كانوا يتمتعون بحماية نسبية وازدهار اقتصادي (Gerber, 1980, p. 85).

- **فترة الوطاسيون**

خلال فترة حكم الوطاسيين (1465-1554)، فرضت إسبانيا والبرتغال السيطرة على جميع المدن الساحلية في المغرب. كانت الشرعية في عهد الأسرة السعدية خلال الفترة (1554-1659) متجذرة في الغالب في نسبهم المنحدر من أحفاد النبي، وكذلك في دور زعيمهم المتشدد الذي قاد المقاومة المسلحة ضد القوات الإسبانية والبرتغالية. اتسم موقف اليهود المطرودين من إسبانيا، الذين يعرفون باسم "**ماجوراشيم**"، تجاه المحتلين بالتناقضات. لم تمنع الصدمة المستمرة للطرد بعض أفراد **ماجوراشيم** من التعاون مع خصومهم السابقين، مما أدى إلى ظهور طبقة تجارية يهودية مزدهرة سدت الفجوة الاقتصادية بين المسلمين المغاربة والحكام الأجانب. وكما لاحظ الكاتب **ميشيل أبيتبول**، اتسمت التفاعلات بين اليهود والمسيحيين بالاضطهاد الديني والتحول القسري في المناطق الشمالية من إسبانيا، في حين ساد مظهر من مظاهر التعايش، أطلق عليه اسم التعايش اليهودي المسيحي، في المناطق الجنوبية من المغرب (أبيتبول, 1993, p. 522). ومع ذلك، كان شبح محاكم التفتيش، الذي سبب الطرد لليهود من إسبانيا، يلوح في الأفق بين السكان اليهود. وبالتالي، تحتفل الجالية اليهودية المقيمة في شمال المغرب بانتصار السعدي على جيش العاهل البرتغالي **دون سيباستيان** من خلال مهرجان فريد يعرف باسم **بوريم سيباستيانو**، الذي أقيم في 4 غشت 1578 (الزعفراني, 1998, p. 266).[2].

- **فترة السعديين**

خلال العهد السعدي، اتسمت الفترة بالاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والقوة العسكرية والتماسك. بعد هزيمة البرتغاليين في معركة **وادي المخازن** التي تعرف بمعركة الملوك الثلاثة، تمكن السعديون من فرض هيمنتهم الكاملة على طرق التجارة التي تستخدمها القوافل العابرة للصحراء لنقل الذهب والعبيد، وهو مشروع شارك فيه اليهود المغاربة بنشاط، لا سيما في صناعة السكر في منطقة سوس الجنوبية الغربية حيث كان العمل بالعبيد ضرورياً.[3] في عام 1557، تحت حكم سلالة السعدي، تم تخصيص منطقة سكنية جديدة للسكان اليهود في معقلهم الجنوبي في مراكش. كان هذا القرار بمثابة خروج عن الممارسات السابقة للموحدين الذين نقلوا اليهود من مراكش إلى ضواحيها بقرية أغمات القريبة، بينما أعاد المرينيون توطينهم سابقاً في المدينة.

- **فترة الاستعمار**

خلال الفترة الاستعمارية وما قبلها مباشرة، كانت التجمعات اليهودية كبيرة في المدن والموانئ الرئيسية في المغرب. مثلاً، كانت مدينة الدار البيضاء في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين تضم حوالي 20% من اليهود. هذه الفترة شهدت تزايداً في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية لليهود في المغرب، مما يعكس دورهم الحيوي في تلك الحقبة. يشير الكاتب **لاسكيير** إلى أن اليهود في المغرب خلال القرن العشرين كانوا يلعبون دوراً مهماً في الاقتصاد المحلي وفي مختلف المعاملات والتبادلات التجارية والاقتصادية نظراً لخبراتهم وتجربتهم الميدانية (Laskier, 1994, p. 45).

3) الهجرة والتوزيع الجغرافي لليهود المغاربة

- **الهجرة**

لقد كان للهجرة أحد مظاهر الاستقرار لليهود المغاربة، حيث كان قدوم اليهود إلى الغرب الإسلامي (الأندلس، إفريقيا، المغرب الأقصى) جاء في أعقاب خراب الهيكل الأول في سنة 586 قبل الميلاد، وتوالت بعد ذلك الهجرات التي تراوحت بين الفردية والجماعية، لعوامل النفي والترحيل، وتم طرد اليهود والمسلمين من الأندلس في سنة 1492، والبرتغال في سنة 1497 ميلادية. وهناك وفود من اليهود كان قدومهم

إلى المغرب من الشام، وقد تأسست مدينة باسم آيت داوود في جنوب المغرب، أخذت اسمها من يهودي ينتمي إلى قبيلة يهوذا (الوزان, 1974, pp. 117-118)؛ (كربخال, 1984, pp. 19-20).

وللأستاذ **أحمد شحلان** قول خاص عن تشكيلة اليهود المغاربة بالمغرب: "يتكون العنصر اليهودي في المغرب من مجموعتين كبيرتين: المجموعة الأولى: يهودي مغاربة أصلاً وجدوا في المغرب قبل الإسلام، وجاءت المجموعة الثانية في دفعتين كبيرتين، القسم الأول: اليهود الذين قدموا بعد الفتح العربي إلى المغرب، والقسم الثاني: يهود إسبانيا الذين[1] تركوا هذا البلد عندما تركها المسلمون في نهاية القرن الخامس عشر" (شحلان, 1986, pp. 207-226).

- **التوزيع الجغرافي:**

لقد شكل التوزيع الجغرافي للمجتمعات اليهودية بالمغرب عنصراً مهماً في الاستقرار، حيث كان اليهود جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي المغربي منذ قرون طويلة. فقد استقروا في مدن مختلفة مثل فاس، ومراكش، والدار البيضاء، والصويرة، وكذلك توزعوا على مناطق متنوعة في أرجاء البلاد. كمدينة فاس، مثلاً، كانت هناك مجتمعات يهودية عريقة منذ القرن التاسع الميلادي. تشير الدراسات التاريخية إلى أن مدينة فاس كانت تُعد من أهم المراكز الحضرية التي احتضنت جالية يهودية كبيرة في المغرب، حيث كان اليهود يمارسون أنشطتهم التجارية والدينية بحرية نسبية، كما شغل بعضهم مناصب ذات طابع إداري أو مالي داخل بلاط السلطان. ويؤكد الباحثون أن هذا الحضور لم يكن مجرد وجود سكني، بل كان فاعلاً في الحياة الاقتصادية والسياسية للمدينة (Gerber, 1980, pp. 19–21). و توضح الخريطة التالية مكان تمركز و إستقرار اليهود المغاربة عبر أرجاء المملكة:

خريطة: التوزيع الجغرافي لاستقرار اليهود المغاربة في المدن المغربية عبر التاريخ، واللغات الناطقين بها.[4]

من خلال الخريطة، يمكن ملاحظة أن التوزيع الجغرافي لليهود المغاربة تركز في المدن الكبرى مثل:

- فاس ومكناس: كان لهاتين المدينتين أهمية كبيرة في تاريخ المغرب، حيث احتضنتا مجتمعاً يهودياً كبيراً نظراً لكونهما مركزين ثقافيين وتعليميين ودينيين في المملكة.
- الصويرة: لعبت دوراً هاماً كميناء تجاري رئيسي على ساحل المحيط الأطلسي، مما جذب العديد من العائلات اليهودية التي انخرطت في التجارة الدولية.
- مراكش: كانت واحدة من المدن الكبرى التي احتضنت الجاليات اليهودية، حيث تميز اليهود بالمساهمة في التجارة والصناعة المحلية.
- الدار البيضاء: مع تطور المدينة في بداية القرن العشرين، أصبحت الدار البيضاء نقطة جذب هامة لليهود، خصوصاً في المجال التجاري.
- تطوان وطنجة: بفضل موقعهما الاستراتيجي قرب مضيق جبل طارق، كانت هاتان المدينتان مركزين للتجارة مع أوروبا، مما جعلها مقصداً هاماً للجالية اليهودية.

2. المعايير التي اعتمدها اليهود المغاربة في اختيار هذه المدن

- المعايير التجارية: المدن التي كانت محطات تجارية هامة مثل الصويرة وطنجة وتطوان جذبت الجالية اليهودية بسبب فرص التجارة مع أوروبا وبلدان أخرى. فقد كان اليهود معروفين بنشاطهم في التجارة عبر البحر الأبيض المتوسط.
- المعايير الاقتصادية: العديد من اليهود المغاربة استقروا في المدن التي كانت تزدهر اقتصادياً مثل فاس ومكناس، حيث كانت هذه المدن تعتبر مراكز حضرية وتجارية رئيسية، مما وفر لهم الفرص للانخراط في التجارة والحرف.
- المعايير الثقافية والدينية: المدن التي كانت تضم جاليات يهودية قديمة، مثل فاس ومكناس، شكلت ملاذاً لليهود المغاربة نظراً لوجود المؤسسات الدينية والتعليمية اليهودية التي سمحت لهم بالحفاظ على تقاليدهم وهويتهم الثقافية.
- الموقع الجغرافي: المدن الساحلية مثل الصويرة وطنجة وتطوان جذبت اليهود نظراً لقربها من أوروبا وإمكانية الوصول إلى شبكات التجارة البحرية.

3) الدور الاستراتيجي الذي لعبه اليهود المغاربة في التجارة بين المدن

- شبكة تجارية محلية ودولية: اليهود المغاربة لعبوا دوراً رئيسياً في تطوير التجارة بين المدن المغربية وبين المغرب والعالم الخارجي. في المدن الساحلية مثل الصويرة والدار البيضاء، كانوا وسطاء تجاريين بين المغرب وأوروبا. في الصويرة، على وجه الخصوص، ساهم اليهود في التجارة الدولية بالسلع مثل السكر والجلود والأقمشة.
- التجارة الداخلية: في المدن الداخلية مثل مراكش وفاس، انخرط اليهود في التجارة المحلية، حيث كانوا يسافرون بين المدن لتبادل السلع المختلفة مثل التوابل والمعادن والمجوهرات. وقد أنشأوا شبكة من الأسواق والمراكز التجارية التي سهلت التبادل التجاري بين المناطق الريفية والمدن.
- الربط بين المغرب وبلدان أخرى: اليهود المغاربة في طنجة وتطوان عملوا كوسطاء تجاريين بين المغرب وإسبانيا وبقية أوروبا. من خلال معرفتهم باللغات والثقافات المتعددة، كانوا قادرين على بناء علاقات تجارية قوية مع العديد من الشركاء الدوليين.

إجمالاً، تُظهر الخريطة أن التوزيع الجغرافي لليهود المغاربة لم يكن عشوائياً، بل استند إلى اعتبارات تجارية واقتصادية ودينية، مما سمح لهم بلعب دور استراتيجي في دعم الاقتصاد المغربي عبر القرون.

المحور الثاني: المواطنة النشطة في السياق المغربي

1) **تطور مفهوم المواطنة النشطة**

- **أ. مفهوم المواطنة النشطة**

المواطنة النشطة هي عملية تتجاوز الحقوق القانونية لتشمل مشاركة الأفراد الفعالة في الشؤون العامة والاجتماعية والسياسية. يعد **توماس مارشال** أحد أبرز المنظرين الذين قدموا إطاراً نظرياً شاملاً لمفهوم المواطنة من خلال تقسيمها إلى ثلاثة أبعاد رئيسية: المدني، السياسي، والاجتماعي (Marshall, 1950, p. 76).

- البعد المدني: يتضمن حقوق الأفراد الأساسية مثل حرية التعبير، الحق في الملكية، وحرية التجمع. يرتبط هذا البعد بالحماية القانونية والحقوق الفردية التي تمكن المواطن من الانخراط في المجتمع (Smith, 2009,p. 24).
- البعد السياسي: يتعلق بمشاركة الأفراد في الحياة السياسية، مثل التصويت، الترشح للمناصب، والمشاركة في الأحزاب السياسية أو الحركات الاجتماعية (Marshall, 1950, p. 77).
- البعد الاجتماعي: يشير إلى الحقوق الاجتماعية التي تضمن للمواطنين مستوى معيشياً لائقاً، بما في ذلك حق الوصول إلى التعليم، الرعاية الصحية، والخدمات الاجتماعية.

- **ب– المواطنة النشطة في السياق المغربي**

في السياق المغربي، بدأت دراسات المواطنة النشطة في التركيز على المشاركة السياسية والاجتماعية في الفترة ما بعد الاستقلال. وقد أشار **عبد اللطيف الهاشمي** إلى أن المواطنة النشطة في المغرب تتجاوز العمل السياسي لتشمل أبعاداً اجتماعية وثقافية، حيث تشارك الجماعات العرقية والدينية المختلفة في تشكيل الهوية الوطنية المشتركة (الهاشمي, ت.د). ومع ذلك، هناك نقص واضح في الأدبيات التي تتناول إسهامات الأقليات، بما في ذلك الجالية اليهودية، في هذا المجال (El Hachimi, 2010). كما تطورت "المواطنة النشطة" في ظل التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها المغرب منذ الاستقلال عام 1956. وقد ساهمت مجموعة من العوامل في تعزيز هذا المفهوم، منها:

- التعدديةالثقافية: يُعتبر المغرب دولة متعددة الثقافات، حيث تعايشت على مدار قرون طويلة مجموعات دينية وعرقية مختلفة مثل المسلمين واليهود والأمازيغ. ساهم هذا التعايش في تعزيز مفهوم المواطنة النشطة المبني على احترام التنوع والتعددية.
- الحركات الوطنية والاستقلال: كان لليهود المغاربة دور في حركة الاستقلال المغربية من الاستعمار الفرنسي والإسباني. يُعد هذا الدور جزءاً من مساهمة اليهود المغاربة في تشكيل مفهوم المواطنة النشطة من خلال الانخراط في الدفاع عن الوطن.
- الإصلاحات السياسية والدستورية: شهد المغرب خلال العقدين الماضيين إصلاحات سياسية ودستورية لتعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان. ساهمت هذه الإصلاحات في تفعيل مفهوم المواطنة النشطة من خلال تشجيع الأفراد على المشاركة السياسية والمجتمعية (Benhaddou, 2014).

- **ج- المواطنة بعد الاستقلال:**

بعد حصول المغرب على الاستقلال في عام 1956، حصل اليهود على حقوق المواطنة الكاملة وشاركوا بنشاط في الحياة السياسية. وتقلد اليهود مناصب وزارية في الحكومة المغربية، ومستشارين لجلالة الملك، والذين كانوا من الذين خدموا وطنهم المغرب بكل روح وطنية وتفانٍ، وتمسكهم بالعرش العلوي المجيد. نجد في هذا الصدد أسماء مثل: **سيرج برديكو وأندري أزولاي وزليخة نصري**، وهي دلالة رمزية على احترام الدولة المغربية لمساهمة اليهود في بناء الدولة الحديثة (Lévy, 2001, p. 95).

- **د-المساهمة في النضال الوطني**

خلال فترة الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب، كانت الجالية اليهودية جزءاً من الحركات الوطنية التي نادت بالتحرر من الاستعمار وبناء دولة مغربية حديثة. ارتبطت هذه الحركات بالمطالبة بالاستقلال والدفاع عن سيادة المغرب، وقد كان لليهود المغاربة دور بارز في هذا النضال.

- مشاركة اليهود في الحركة الوطنية: انخرط العديد من اليهود في النضال ضد الاستعمار إلى جانب المسلمين، وتحديداً في الحركات السياسية والمقاومة الوطنية. كانوا ينضمون إلى التنظيمات الوطنية مثل حزب الاستقلال الذي كان يدعو إلى تحرير المغرب من الهيمنة الاستعمارية، وتعزيز الهوية الوطنية المشتركة بين المغاربة المسلمين واليهود. هذه المشاركة كانت دليلاً على الروح الوطنية التي تجسدت في مفهوم المواطنة النشطة، حيث ساهم اليهود بشكل فعال في الدفاع عن السيادة الوطنية (Lévy, 2001, p. 120).

- دعم الحركات المقاومة: بعض اليهود المغاربة كانوا أيضاً داعمين للحركات المسلحة التي قاومت الاستعمار الفرنسي، وشاركوا في توفير الموارد والدعم اللوجستي للمقاومة. كان لهم دور في توفير المعلومات والدعم المادي للمجاهدين الذين كانوا يناضلون من أجل استقلال المغرب. هذا الدعم عكس التزاماً كبيراً بمفهوم المواطنة النشطة، حيث ساهم اليهود في مختلف الأنشطة التي ساعدت في تعزيز استقلال المغرب (Zafrani,2005,p.125).

- التضامن مع المسلمين في مواجهة الاستعمار: رغم المحاولات الاستعمارية لزرع التفرقة بين المسلمين واليهود، استمرت الجالية اليهودية في تعزيز علاقتها بالجالية المسلمة، حيث كانوا يتشاركون في المقاومة ضد الاستعمار. وكانت هناك أمثلة كثيرة على التضامن بين الجاليتين في مواجهة المحاولات الاستعمارية لتقسيم المجتمع المغربي على أساس ديني. هذه العلاقات ساهمت في تعزيز الروابط الوطنية بين اليهود والمسلمين، وشكلت جزءاً أساسياً من مفهوم المواطنة النشطة (Lévy, 2001, p. 160).

- المساهمة في الحياة السياسية بعد الاستقلال: بعد الاستقلال، كانت مشاركة اليهود في الحركات الوطنية أساساً لتوليهم مناصب سياسية رفيعة. شغل العديد منهم مناصب وزارية وإدارية، مما عكس اندماجهم الكامل في الحياة السياسية والاجتماعية للمغرب. هذا الدور في بناء الدولة المغربية الحديثة جاء كنتيجة مباشرة للمساهمة في النضال الوطني والالتزام بمبادئ المواطنة النشطة (Lévy, 2001, p. 185).

- **ج- النظريات الاجتماعية والمواطنة في المغرب**

اعتماداً على نظريات المواطنة الاجتماعية التي طورها باحثون مثل **توماس مارشال** (1950) **وبيير بورديو** (Bourdieu, 1984)، يمكن النظر إلى المواطنة النشطة في السياق المغربي من خلال عدة زوايا:

- التفاعل الاجتماعي: يرى بورديو أن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية هي التي تحدد موقع الفرد داخل المجتمع. في السياق المغربي، يمكن اعتبار أن التفاعل بين المسلمين واليهود عبر التاريخ ساهم في بناء مجتمع متماسك قائم على التعددية والتعايش. وفقاً **لبورديو**،

تعتبر هذه التفاعلات الاجتماعية أساساً لفهم المواطنة النشطة حيث يتداخل الرأسمال الاجتماعي مع الوضع الاقتصادي (Bourdieu, 1984, p. 66).

- الرأسمال الثقافي والاجتماعي: يشير **بورديو** أيضاً إلى أن المواطنة النشطة لا تتعلق فقط بالحقوق السياسية، بل أيضاً بالقدرة على الوصول إلى الموارد الثقافية والاجتماعية. يُعد **شمعون ليفي** مثالاً على مواطن استخدم رأسماله الثقافي والاجتماعي لتعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف الفئات في المجتمع المغربي، مستخدماً موقعه الثقافي لتعزيز قيم المواطنة النشطة (Bourdieu, 1984, p. 150).

المحور الثالث: شمعون ليفي وتأسيس المواطنة النشطة: بين الالتزام السياسي وصيانة الذاكرة الجماعية

1. سيرة شمعون ليفي

يمثل شمعون ليفي نموذجاً بارزاً للمواطنة النشطة كما تجلت في السياق المغربي الحديث، إذ جسّد من خلال مساره الشخصي والفكري والسياسي التزاماً عملياً بالدفاع عن القيم الوطنية والعدالة الاجتماعية والتعددية الثقافية. وُلد بمدينة فاس سنة 1934، وفي سن مبكرة انخرط في صفوف الحركة الوطنية، رافضاً الاحتلال الفرنسي ومناهضاً لمحاولات سلطات الحماية استمالة اليهود المغاربة، ومن بينها عرض الجنسية الفرنسية. لم يكن هذا الرفض مجرد موقف رمزي، بل ترجمة فعلية لرؤية مواطنة تؤمن بوحدة المصير المغربي وتتخذ من الفعل النضالي سبيلاً لحماية الكرامة الوطنية، وهو ما تأكد من خلال مشاركته في صفوف المقاومة إلى غاية حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956.

شكلت التجربة التعليمية والأكاديمية **لشمعون ليفي** امتداداً لهذا الفعل الوطني، حيث حصل سنة الاستقلال على الإجازة في الأدب الإسباني والبرتغالي، ثم على دبلوم الدراسات العليا عام 1958 ببحث حول "حرب الريف في عهد الملك ألفونسو الثالث"، قبل أن ينال الدكتوراه سنة 1990 من جامعة باريس الثامنة تحت إشراف المؤرخ **حاييم الزعفراني**. ويكشف هذا المسار الأكاديمي عن وعي عميق بقضايا التاريخ والذاكرة، باعتبارهما مجالين مركزيين في بناء الوعي الوطني والنقدي.

سياسياً، انخرط **ليفي** في حزب يساري راديكالي، هو الحزب الشيوعي المغربي (الذي أصبح لاحقاً حزب التقدم والاشتراكية)، وكرّس نضاله للدفاع عن الحقوق الاجتماعية والسياسية للمواطنين، وهو ما عرّضه للاعتقال خلال أحداث 23 مارس 1965.[5] وقد تم اقتياده حينها إلى المعتقل السري "درب مولاي الشريف"، حيث تعرّض للتعذيب، إلا أن ذلك لم يُثنه عن مواصلة التزامه السياسي، بل زاده إيماناً بجدوى النضال. وقد اعتبر في إحدى شهاداته أن تجربة الاعتقال، رغم قسوتها، أكدت له انتصاره الأخلاقي، لاسيما بعدم كشفه عن أي من رفاقه. ويكشف هذا الموقف عن مفهوم متجذر للمواطنة النشطة، التي لا تُختزل في المطالبة بالحقوق، بل تشمل أيضاً أداء الواجبات وتحمل التضحيات من أجل المصلحة العامة.

لم يقتصر نشاط ليفي على الحقل السياسي، بل امتد إلى العمل النقابي والطلابي، حيث نشط داخل الاتحاد المغربي للشغل، والكونفدرالية الوطنية للتعليم، والاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما اضطلع بمهام أكاديمية وتربوية في جامعة محمد الخامس بالرباط. وقد تُوّج هذا الالتزام بانتخابه عضواً في المجلس البلدي للدار البيضاء بين 1976 و1983، وهو ما يعكس سعيه الدائم للمشاركة في تدبير الشأن العام، وتحقيق العدالة الاجتماعية عبر المؤسسات.

وفي سياق آخر، عبّر **شمعون ليفي** عن رفضه القاطع لهجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل، معتبراً ذلك "خطأ تاريخياً لا يُغتفر"، لما فيه من تفريط في تعددية المجتمع المغربي وتهديد لتماسكه. كما انتقد تغييب الذاكرة اليهودية من المناهج الدراسية الرسمية، مبرزاً أن التربية على قبول المشترك والتعايش شرط أساسي لترسيخ مواطنة شاملة ومنفتحة. وقد أشار إلى أن الحديث الرسمي عن التعايش لا يجد ترجمة حقيقية في السياسات التعليمية، التي تستبعد الإشارة إلى اليهود المغاربة كمكوّن أصيل من مكونات الهوية الوطنية.

وبعد تقاعده واستبعاده من حزب التقدم والاشتراكية أواخر تسعينيات القرن الماضي، لم يتراجع التزام ليفي بقضايا الذاكرة والهوية، بل زاد حرصه على صيانة التراث اليهودي المغربي، بوصفه مكوناً لا يتجزأ من الرأسمال الرمزي الوطني. فقاد مشاريع ترميم الكنس والمعابد، وكان من بين مؤسسي "متحف التراث اليهودي المغربي" بالدار البيضاء سنة 1997، في أول مبادرة من نوعها على مستوى العالم العربي.

توفي **شمعون ليفي** يوم 2 ديسمبر 2011 بمدينة الرباط عن عمر يناهز 77 سنة، مخلفاً أثراً عميقاً في الأوساط الحقوقية والثقافية داخل المغرب وخارجه. وقد نعته الطائفة اليهودية بالدار البيضاء باعتباره "صوتاً مدافعاً عن كرامة الإنسان، وحارساً أميناً على القيم العريقة للتراث اليهودي المغربي" (أصوات مغاربية, 2023). لقد جسّد **ليفي** في حياته ومماته نموذجاً للمواطن المنخرط، الذي لم تفصله هويته الدينية عن قضايا مجتمعه، بل جعل منها محفزاً إضافياً لتكريس مواطنته الكاملة والمتفاعلة مع قضايا وطنه وتاريخه ومستقبله.

2. جذور الالتزام السياسي: المواطنة كتحرر ومشاركة

يتأسس وعي **شمعون ليفي** بالمواطنة من منطلق سياسي تحرري، ارتبط منذ البداية بمقاومة الاستعمار الفرنسي للمغرب. فقد انخرط وهو في سن مبكرة، في مظاهرات 1944 المطالبة بالاستقلال، قبل أن يُصبح من أوائل اليهود المغاربة الذين التحقوا بالحركة الوطنية، ثم بالحزب الشيوعي المغربي. هذا الانخراط الميداني كلفه الاعتقال سنة 1952 خلال أحداث الدار البيضاء التي شهدت مواجهات عنيفة بين مناضلي الحركة الوطنية والسلطات الاستعمارية، ما يعكس التزاماً فعلياً بقضايا التحرر الوطني (Lévy, 2010, pp. 25–27). في هذا السياق، لم يُنظر إلى المواطنة باعتبارها ولاءً قانونياً للدولة، بل كمسؤولية نضالية تسعى لتفكيك البنى الاستعمارية وإعادة بناء الذات الوطنية على أساس المساواة والكرامة.

3) المرجعية اليسارية والمواطنة الاجتماعية

لقد شكل انتماء **شمعون ليفي** إلى اليسار المغربي، عبر الحزب الشيوعي ثم حزب التحرر والاشتراكية، الخلفية النظرية لمفهومه للمواطنة. فهو لم يكتف بالمطالبة بالحقوق المدنية والسياسية، بل وسّع مفهوم المواطنة ليشمل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. من هنا، عبّر عن رفضه للرؤية الليبرالية الضيقة التي تختزل المواطنة في مجرد مشاركة انتخابية دورية، داعياً بدلاً من ذلك إلى "مواطنة اجتماعية" تتحقق من خلال ضمان التعليم والصحة والشغل والثقافة لجميع المواطنين دون تمييز (Lévy, 2010, pp. 45–46). لقد ربط **ليفي** بين العدالة الاجتماعية والمواطنة، معتبراً أن غياب الإنصاف يعمّق الفجوة بين المواطن والدولة، ويؤدي لعدم الاعتراف بالآخر، وتهميش فئات المجتمع، ويُفرغ الممارسة الديمقراطية من محتواها الحقيقي.

4) الدفاع عن التعددية ورفض الطائفية

تميز تصور **ليفي** للمواطنة برفضٍ صريح لأي تصنيف طائفي أو إثني داخل الجسم الوطني. فقد دافع عن كون اليهود المغاربة ليسوا "أقلية دينية"، بل مواطنين كاملي المواطنة، أسهموا عبر القرون في بناء الثقافة المغربية. من هذا المنطلق، عارض الخطابات التي تفرق بين المواطنين على أساس ديني، ومنهم الخطاب الكولونيالي الذي يحاول أن يخلق الفجوة والهوة بين أطياف مكونات المجتمع المغربي، مؤكداً أن المواطنة لا تقوم إلا على قاعدة الانتماء المشترك إلى وطن يحتضن جميع مكوناته الثقافية والروحية (Lévy, 2010, pp. 38–39). هذا التصور للتعددية لا يكتفي بالاعتراف القانوني، بل يستدعي سياسة إدماجية تثمن روافد الهوية الوطنية وتقاوم الإقصاء الرمزي.

5) المواطنة والديمقراطية: من الحق إلى الفعل

اعتبر **ليفي** أن الديمقراطية ليست فقط آلية انتخابية، بل شرط تأسيسي لممارسة مواطنة حقيقية. فقد ربط بين المواطنة وحرية التعبير والتنظيم وحق الاختلاف، معتبراً أن غياب مؤسسات ديمقراطية فعالة يحول المواطنة إلى شعار فارغ من المضمون (Lévy, 2010, pp. 55–57).

ولهذا كان من بين مؤسسي الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، التي عملت على ترسيخ ثقافة حقوقية مدنية قائمة على المساواة أمام القانون وصون كرامة الإنسان. لقد أدرك **ليفي** أن المواطنة لا تُمارَس إلا في بيئة ديمقراطية تضمن المشاركة الفعلية لجميع الفئات، بما في ذلك الفئات الهشة والمهمشة.

6) البُعد الكوني للمواطنة

ما يميز تصور **ليفي** أيضاً هو انفتاحه على البعد الكوني للمواطنة. فقد عبّر عن تضامنه مع القضايا التحررية في العالم، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، التي دافع عنها بجرأة، رافضاً الصهيونية باعتبارها أيديولوجيا استعمارية مناقضة للقيم الإنسانية (Lévy, 2010, p. 60). كما وقف ضد الفاشية والعنصرية، ما جعله يُجسّد تصوراً أممياً للمواطنة يُزاوج بين الانتماء الوطني والدفاع عن القيم الكونية للعدالة والحرية. هذا الموقف يُبرز كيف استطاع ليفي تجاوز الانغلاق القومي نحو مواطنة تضامنية عالمية.

7) الثقافة والذاكرة كرافعتين للمواطنة

لم يقتصر نضال **ليفي** على الجانب السياسي فقط، بل امتد إلى المجال الثقافي، حيث جعل من الدفاع عن الذاكرة الجماعية جزءاً لا يتجزأ من المواطنة النشطة. فقد أسس "متحف التراث اليهودي المغربي" بالدار البيضاء، وهو أول متحف من نوعه في العالم العربي، يوثق لتاريخ اليهود في المغرب ويُبرز مساهماتهم في بناء المجتمع المغربي (Lévy, 2001, p. 210; Lévy, 2010, pp. 77–80). من خلال هذا العمل، سعى **ليفي** إلى ترسيخ الهوية الوطنية التعددية، وإلى مقاومة التهميش الرمزي للذاكرة اليهودية المغربية. لقد اعتبر أن صيانة التراث فعلٌ مواطناتي يساهم في إعادة الاعتبار للغير ضمن الهوية الجماعية، ويُؤسس لتعايش حقيقي يتجاوز التسامح الشكلي.

خاتمة

تخلص الدراسة إلى أن مفهوم المواطنة النشطة في السياق المغربي لا يمكن فصله عن السياقات التاريخية والسياسية التي مر بها المغرب، والتي شكلت هوية وطنية متعددة الثقافات. يبرز **شمعون ليفي** كأحد أهم الفاعلين الذين جسدوا هذا المفهوم من خلال نشاطاته السياسية والثقافية، مما يجعله شخصية محورية في فهم العلاقة بين الهوية الوطنية والمواطنة النشطة في المغرب. كما تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية استمرارية مثل هذه الجهود لتعزيز قيم التعددية والتعايش، وهي قيم باتت ضرورية في عالمنا اليوم الذي يتسم بالتنوع والاختلاف.

يؤكد تحليل مسار **شمعون ليفي** أن المواطنة النشطة في المغرب ليست ممارسة سياسية فحسب، بل تجسيد لوعي تاريخي وثقافي تشكل عبر قرون. وفي هذا السياق، يوضح **حاييم الزعفراني** أن اليهود المغاربة لم يكونوا مجرد أقلية دينية، بل مكوناً عضوياً من المجتمع المغربي، ومجسداً للقضايا والمواقف الوطنية، مشيراً إلى أن "العيش المشترك" شكل قاعدة أساسية للتفاعل بين المسلمين واليهود في المغرب (الزعفراني, 1998, p. 107). ويعزز الكاتب **ميشيل أبيتبول** هذا التصور، موضحاً أن يهود المغرب كانوا فاعلين أساسيين في اللحظات الوطنية الكبرى، خصوصاً في مواجهة الاستعمار، وهو ما يتجلى في مشاركة أفراد من الجالية اليهودية، ومنهم شخصية **شمعون ليفي**، في النضال الوطني (أبيتبول, 1999, p. 233).

تُجيب هذه الدراسة بشكل مُفصّل على الإشكالية المطروحة حول مدى اعتبار **شمعون ليفي** رمزاً للمواطنة النشطة لدى اليهود المغاربة، وتخلص إلى مجموعة من **النتائج الجوهرية** المستنبطة من التحليل التاريخي والاجتماعي والثقافي لمساره وإسهاماته:

1. **النتيجة الأولى: تجسيد شمعون ليفي للمواطنة النشطة المتجذرة في التاريخ المغربي**: أثبت البحث أن نموذج المواطنة النشطة الذي قدمه شمعون ليفي لم يكن وليد اللحظة، بل هو نتاج لتراكم تاريخي طويل للوجود اليهودي الفاعل والمندمج في النسيج المجتمعي

المغربي. فمواقفه الوطنية، بدءًا من رفضه للاستعمار ومشاركته في الحركة الوطنية، ثم انخراطه السياسي اليساري، لم تكن معزولة عن إرث أجداده الذين شكلوا جزءًا لا يتجزأ من المغرب عبر مختلف الحقب التاريخية، بل استمرارًا وتطويرًا لهذا الدور.

2. **النتيجة الثانية: المواطنة النشطة لدى شمعون ليفي كفعل متعدد الأبعاد يتجاوز الهوية الدينية** :كشف التحليل أن مواطنة شمعون ليفي النشطة تجسدت عبر أبعاد متعددة ومتكاملة:

- **البعد السياسي النضالي** :من خلال انخراطه المبكر في مقاومة الاستعمار، ومشاركته في العمل الحزبي اليساري (الحزب الشيوعي ثم التقدم والاشتراكية)، ودفاعه عن الحقوق الاجتماعية والسياسية، وتحمله للاعتقال والتعذيب دون التخلي عن مبادئه.

- **البعد الفكري والثقافي** :عبر مساره الأكاديمي، وإسهاماته الفكرية التي ركزت على التاريخ والذاكرة، ودفاعه عن التعددية الثقافية، وتأسيسه لمتحف التراث اليهودي المغربي كفعل وطني يهدف إلى صيانة الذاكرة الجماعية وربطها بالهوية الوطنية الشاملة. يؤكد **الزعفراني** أن هذا التراث اليهودي المغربي يمثل أحد أوجه الخصوصية الحضارية المغربية، ويستوجب الحفاظ عليه وتثمينه ضمن الذاكرة الوطنية (الزعفراني, 1998, p. 367).

- **البعد الاجتماعي والحقوقي** :من خلال نشاطه النقابي والطلابي، ودفاعه عن حقوق الإنسان، ورفضه القاطع للطائفية والتمييز، وتأكيده على أن اليهود المغاربة مواطنون كاملو الحقوق والواجبات. (أبيتبول, 1999, p. 240).

- **البعد الوطني الوحدوي** :بتأكيده على وحدة المصير المغربي، ورفضه لهجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل، وانتقاده لتغييب الذاكرة اليهودية من المناهج، مما يعكس حرصه على تماسك الهوية الوطنية المغربية بكل روافدها.

3. **النتيجة الثالثة: شمعون ليفي كنموذج لـ "المواطنة الاجتماعية" و"الديمقراطية الفعلية"** :أظهرت الدراسة أن ليفي لم يكتفِ بالحقوق المدنية والسياسية، بل تبنى مفهومًا أوسع للمواطنة يشمل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما ربط المواطنة بالديمقراطية الفعلية التي تضمن حرية التعبير والتنظيم والمشاركة، وليس مجرد آلية انتخابية.

4. **النتيجة الرابعة: مساهمة ليفي في إعادة تعريف الهوية الوطنية المغربية لتشمل التعددية بفعالية** :يتضح من خلال عمله على متحف التراث اليهودي، وكتاباته، ومواقفه، أن **شمعون ليفي** لم يكن فقط يعيش مواطنته، بل كان يسعى بنشاط إلى ترسيخ فهم للهوية الوطنية المغربية يحتفي بالتعددية ويعتبر المكون اليهودي جزءًا أصيلًا ومساهمًا فيها، وليس مجرد أقلية متسامح معها. هذا يمثل مساهمة محورية في النقاش حول الهوية والمواطنة في المغرب المعاصر.

5. **النتيجة الخامسة: البُعد الكوني في تصور ليفي للمواطنة الفاعلة**:لم تقتصر مواطنة ليفي على الشأن المحلي، بل امتدت لتشمل تضامنًا مع قضايا التحرر العالمية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، ورفضه للصهيونية، مما يضفي على نموذجه بعدًا كونيًا يتجاوز الانغلاق القومي.

بناءً على هذه النتائج، تقدم هذه الدراسة إسهامًا معرفيًا في فهم ديناميكيات المواطنة النشطة لدى الأقليات، وتحديدًا في السياق المغربي، من خلال تحليل معمق لنموذج **شمعون ليفي**. إنها تبرز كيف يمكن لفرد من أقلية دينية أن يلعب دورًا طلائعيًا في النضال الوطني، وفي بناء الديمقراطية، وفي صياغة الوعي بالهوية الوطنية التعددية، ليس فقط من خلال المشاركة السياسية التقليدية، بل عبر العمل الثقافي والفكري والحقوقي الملتزم.

وعليه، توصي الدراسة بما يلي:

1. **تعميق البحث الأكاديمي**: ليس فقط حول مساهمة الأقليات بشكل عام، بل حول آليات وأبعاد ممارستهم للمواطنة النشطة كما تجلت في نماذج مثل **شمعون ليفي**، مع التركيز على التفاعل بين الهوية الفردية والجماعية والانتماء الوطني.

2. **تضمين نماذج المواطنة التعددية في التعليم** :إدراج سيرة وأعمال شخصيات مثل **شمعون ليفي** في المناهج التعليمية ليس فقط لتعزيز التعددية، بل لتقديم نماذج حية للمواطنة الفاعلة التي تتجاوز الانتماءات الضيقة نحو المصلحة الوطنية العليا وخدمة قيم العدالة والحرية.

3. **دعم مبادرات صيانة الذاكرة كفعل مواطناتي** :الاعتراف بأن صيانة الذاكرة الجماعية بكل روافدها (بما فيها الذاكرة اليهودية المغربية) ليست مجرد عمل ثقافي، بل هي فعل مواطناتي جوهري يساهم في بناء وعي تاريخي مشترك ويعزز التماسك الوطني، وبالتالي دعم المؤسسات والمبادرات العاملة في هذا المجال.

4. **تعزيز ثقافة المواطنة المبنية على الحقوق والواجبات والمسؤولية**: استلهام نموذج **ليفي** في ترسيخ مفهوم للمواطنة لا يقتصر على المطالبة بالحقوق، بل يؤكد على أداء الواجبات، وتحمل المسؤولية، والمساهمة الفاعلة في بناء المجتمع والدفاع عن قيمه الديمقراطية والإنسانية.

الهوامش:

1. النظام الذمي كان يُعتبر اتفاقاً ضمنياً بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود والمسيحيين) يضمن لهم الحماية والحرية الدينية مقابل دفع الجزية والالتزام ببعض القيود الاجتماعية والسياسية.
2. للتوسع حول معركة الملوك الثلاثة، انظر(Nekrouf, 1984; Braudel, 1993, pp. 353–354; Berthier, 1985)
3. ويبدو أن السعديين فضلوا إعطاء إدارة هذه السخرة للأقليات الدينية من أجل تجنب المحظورات القانونية الإسلامية التي تحظر استغلال العبيد. انظر تحليل بول بيرتييه في كتابه الكلاسيكي عن تاريخ صناعة السكر في المغرب ما قبل الحداثة (Berthier, 1963).
4. Map of Moroccan Jewish Communities in the 20th Century, by Noahedits, CC BY-SA 4.0 https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0, via Wikimedia Commons.
5. اندلعت احتجاجات 23 مارس 1965 على إثر قرار وزارة التربية الوطنية القاضي بمنع التلاميذ فوق سن السابعة عشرة من متابعة دراستهم بالثانوي، وهو ما فجّر غضباً شعبياً واسعاً خصوصاً في مدينة الدار البيضاء. سرعان ما تحولت التظاهرات السلمية إلى مواجهات دامية مع قوات الأمن والجيش، تلك المرحلة إلى أن بعض النشطاء اليهود تعرضوا للاعتقال خلال حملات التطهير التي تلت الأحداث، خاصة من كانوا محسوبين على الحزب الشيوعي المغربي أو على الحركات الطلابية الراديكالية. لكن لم تكن هناك استهدافات جماعية لليهود كمجموعة دينية أو إثنية، بل استهدفت الاعتقالات التوجهات السياسية المعارضة للنظام.